Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يصل إلينا ، ولكنه يدل على أن الخنساء تحمل لصخر حقا من الحب أو حتى الرحمة والإشفاق ما يمكن أن نجعله أساسا للمبالغة والتضخيم فى حزنها عليه بعد الموت ، ولكنها لم تقل فى حاله الموجعة هذه شعرا ولا نثرا ، ولا كلمة واحدة تعبر عن إشفاقها عليه مما هو فيه ، اللهم إلا قولها (كيف وجدتم صدره ؟) وذلك عندما نتأت من الجرح قطعة لحم تشبه الكف فى جنبه ، فقطعوها رجاء أن يبرأ بقطعها فسألتهم سؤالها ذاك ، وكأنها لا يعنيها ألمه لذاته ، ولذلك لم تسأل عن ألمه وتوجعه ، وهى تعلم أن كل حى لابد أن يتألم ألما شديدا من قطع شىء من جسده ، ولكنها لا يعنيها هذا مهما يبلغ ، وإنما يعنيها أن تظل صورته القديمة بوصفه بطلا لا يهزمه شىء حتى الألم ماثلة فى نفسها ، فهى تريد أن تطمئن بسؤالها هذا إلى أن هذه الصورة لم تتغير ، وصورة البطولة ، أو أى صورة نحوها لا علاقة لها بالعاطفة ، بمعنى أنه ليست شجاعة صخر أو بطولته هى الدافع للخنساء إلى حزنها عليه بعد الموت ، فإن الضعف أدعى لاستدرار العاطفة والرحمة وخصوصا عند ذوى الأرحام ، والأم أعطف وأرحم على الصغير والضعيف من بنيها منها على الكبير والقوى ، فلو كانت الخنساء سوية الطبيعة كسائر ذوات الأرحام من النساء لحزنت على صخر ، أو تألمت لحاله وهو بين الحياة والموت ، ولكان حرصها على هذا المعنى حينذاك أشد من حرصها على الاطمئنان على بقاء صورة شجاعته وبطولته لا ينتصر عليها الألم ، ولاشك أن نفسية صخر كانت فى حياته وألمه وتوجعه أحوج إلى الرحمة حينئذ منها إلى الحزن عليه بعد موته ، فإذا كان العلاج أو الزمن لم يفلح فى تخفيف آلام جسده ، فلا شك أن شعوره بالرحمة والإشفاق ممن حوله سيخفف عنه بعض ما يجد فى نفسه ، ثم لو كانت شجاعة صخر أو منزلته فى المجتمع هى الدافع لحزن الخنساء عليه بعد موته ، لكان معاوية مساويا له فى هذا ، فإن الروايات لا تختلف فى أنهما كانا من طراز واحد ، وأنهما كانا كما يقولون كركبتى البعير ، وصخر عاش خمسين سنة كما تذكر فى قصيدة فائية[٨] .

وإذن فهما نقلب فى موقف الخنساء على وجه من الوجوه ، فلن نجد وجها واحدا من الوجوه التى تناقلها الروايات أو من التفسيرات يصلح أن يكون تعليلا مقنعا لموقفها المشهور ، من قصر حزنها على صخر بعد موته بهذه الصورة التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا .